(٧٣)

"البُرص"

دخل "سليم" غرفته وهمَّ بإطفاء الأنوار استعدادًا للخلود إلى النوم، فإذا به يلحظ على الحائط بُرصًا كبيرًا واقفًا بلا حراك وكأنه يريد أن يلقى عليه تحية ما قبل النوم. فكانت تلك التحية من هذا الكائن الزاحف هى خير مُنبه له كى يظل مستيقظًا طوال الليل خوفًا من أن ينقض عليه هذا الحفيد الصغير للديناصورات فيقف على أى جزء من جسده بينما هو مستغرق فى النوم. ومكث "سليم" ليله فى معظمه فاتحًا لعينيه محدقًا فى البرص الذى يبدو أنه قد قرر احتلال جدار غرفته لوقتٍ طويل دون تفكيرٍ فى التحرك أو إقدامٍ على الخروج.

وأثناء تلك الليلة التى غمرها قدرٌ كبير من الترقب والاستنفار، استرجع "سليم" من ذاكرته ما حدث له وهو صغير، عندما فاجأه أحد زملائه فى المدرسة تعليقًا على الانتهاكات ضد أهالى فلسطين والمسجد الأقصى قائلاً له: "إن هذا هو عدونا" .... فانتبه إلى ما سمعه منه ولم يفهمه، وبادر بسؤاله: "ماذا تعنى بعدونا؟! .. أليس هناك معاهدة للسلام بيننا وبينه؟ وأليس هناك معاملات اقتصادية، وشراكات مالية، وصفقات بيع وشراء، واستثمارات وصادرت وواردات؟ ألم نعلن توقف الحرب وبدء حالة السلام؟!" فقال له زميله: " نعم نحن فى سلام معه ... ولكن هذا لا ينفى أنه ما زال عدونا .. عدونا

الذى لم نعد نراه كعدو .. فلم نعد نستعد لمواجهته أو نترقب غدره .. عدونا الذى تم إخفاؤه عن أنظارنا كى تختفى معه قصة عداوته لنا، وينمحى من الذاكرة تاريخه معنا .. عدونا الذى سالمناه ثم سلَّمنا له أنفسنا طواعية .. فتقدم هو وتخلفنا نحن، وأنتج هو واستهلكنا نحن، وتعلم هو وعلَّم أبناءه واستسغنا نحن مذاق الجهل والأمية حتى ألفناه.. عدونا الذى أصبحت له الكلمة فلا نملك نحن سوى أن ننصت له ولأعوانه فى صمت."

استعاد "سليم" كل هذا الحوار كلمةً كلمة وهو يحملق فى الجدار الذى يقف عليه البُرص، وقال لنفسه: "يبدو أن هذا البُرص كان معى فى شقتى منذ أيام، ولكننى لم أستعد له مثلما أنا الآن، وسبب ذلك بكل بساطة هو أننى لم أكن أراه، وبالتالى لم يصبح فى حسبانى وجوده من الأساس، وما أن رأيته وظل ماثلاً أمام عينى حتى هممت بالتربص به وترقب حركاته اتقاءً لشره، واستعدادًا لمواجهته. ويبدو أن هذا أيضًا هو سلامنا الذى حولناه امتثالاً لمعاهداتٍ ورقية منذ عقود إلى حالة من الاستسلام يشوبها استعداء دفين يطفح على السطح من وقتٍ لآخر بلا معنى أو روح؛ لأننا منذ أن غيبنا حقيقته عن مسامعنا وأبصارنا، أصبح عدونا بالنسبة لنا هو والعدم سواء.